فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

تَأْلِيفُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا تَوْفِيقِي [إِلَّا بِاللهِ]

سُئِلَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ الشَّيْخِ مَجْدِ الدِّينِ عَبْدِ السَّلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُمُ [اللهُ] تَعَالَى - عَنْ رَجُلٍ شَرِيفٍ مُتَمَسِّكٍ بِالسُّنَّةِ لَكِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ أَحْيَانًا رِيبَةٌ فِي تَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فَيَغْلِبُ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَفْضَلُ مِنْهُمْ، وَيَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ - ﷺ -: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ (١)» .

وَبِقَوْلِهِ - ﷺ -: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى (٢)» وَهَارُونُ كَانَ مِنْ مُوسَى بِمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَعَزُّ مِنْهُ.

وَبِقَوْلِهِ - ﷺ - يَوْمَ خَيْبَرَ (٣): «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدِهِ» فَأَعْطَاهَا لِعَلِيٍّ (٤) .

> فِيهِ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ
> وَبِقَوْلِهِ - ﷺ -: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ كَيْفَمَا دَارَ (٥)» .

وَبِقَوْلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ (٦): «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي (٧)» .

وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ الْآيَةَ [آلِ عِمْرَانَ ٦١]، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الْحَجِّ ١٩] وَبِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الْإِنْسَانِ ١]، وَيَزْعُمُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَفْتُونَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَوَّلًا أَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا ثَبَتَ لِلْفَاضِلِ مِنَ الْخَصَائِصِ مَا لَا يُوجَدُ لِلْمَفْضُولِ، فَإِذَا اسْتَوَيَا فِي أَسْبَابِ الْفَضْلِ وَانْفَرَدَ أَحَدُهُمَا بِخَصَائِصَ لَمْ يَشْرَكْهُ فِيهَا الْآخَرُ كَانَ أَفْضَلَ مِنْهُ، وَأَمَّا مَا كَانَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الرَّجُلِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَحَاسِنِ فَتِلْكَ مَنَاقِبُ وَفَضَائِلُ وَمَآثِرُ لَكِنْ لَا

تُوجِبُ تَفْضِيلَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَإِذَا كَانَتْ مُشْتَرَكَةً فَلَيْسَتْ مِنْ خَصَائِصِهِ.

وَإِذَا كَانَتْ كَذَلِكَ فَفَضَائِلُ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الَّذِي مُيِّزَ بِهَا خَصَائِصُ لَمْ يَشْرَكْهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَأَمَّا فَضَائِلُ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَمُشْتَرَكَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ غَيْرِهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ - ﷺ -: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، لَا تَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ (٨) إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ، إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ لِي وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ (٩)»، أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ (١٠) (١١)، وَقِصَّةُ الْحُلَّةِ فِي الصَّحِيحِ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ (١٢) .

وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ ثَلَاثُ خَصَائِصَ لَمْ يَشْرَكْ أَبَا بَكْرٍ فِيهَا غَيْرُهُ:

قَوْلُهُ - ﷺ -: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ» بَيَّنَ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَيْهِ مِنْ حَقٍّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ مِثْلُ مَا لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(١) البخاري: الصحيح، كتاب الصلح باب كيف يكتبُ: هذا ما صالح فلان بن فلان.. ٢/٩٦٠ رقم ٢٥٥٢ ورقم ٤٠٠٥.

(٢) البخاري: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي ٣/١٣٥٩ رقم ٣٥٠٣ بلفظ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»، وباب غزوة تبوك رقم ٤١٥٤ وفيه زيادة مفيدة. مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٧٠ رقم ٢٤٠٤.

(٣) خيبر: لفظ خيبر بلسان اليهود الحصن، وصار يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل على سبعة حصون ومزارع ونخيل كثيرة فتحها النبي - ﷺ - سنة سبع من الهجرة، وتقع شمال المدينة بحوالي ١٦٤ كيلا. انظر: معجم البلدان ٢/٤٠٩، مرويات غزوة خيبر ص٨.

(٤) البخاري: الصحيح، كتاب المغازي باب غزوة خيبر /١٥٤٢ رقم ٣٩٧٣. وهو بلفظ المصنف غير أنه قدم قوله: «يفتح الله على يديه» فجعله بعد قوله «غدا رجلا» .

(٥) قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب ٥/٥٩١ رقم ٣٧١٣، من طريقين عن شعبة. وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال، ورجال الإسناد كلهم ثقات. وأخرجه إلى قوله: «وعاد من عاداه، وانصر من نصره» الإمام النسائي في خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بتخريج أبي إسحاق الحويني ص٩٩، ١٠٠ رقم (٩٥) قال المحقق: إسناده صحيح، وقد نقل عن ابن كثير في البداية والنهاية (٥/٢١٠) قوله: «وهذا إسناد جيد» . وأخرج عبد الله ابن أحمد في

زوائده على المسند (١/١١٨) إلى قوله: «واخذل من خذله» . قلت: وتمامه: «اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» وفي سنده: شريك بن عبد الله النخعي، وهو سيئ الحفظ، وعمرو ذي مر وهو مجهول. قال الحافظ ابن حجر: «وأما حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جدا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان» اهـ. وقال الذهبي في السير (٨/٣٣٤، ٣٣٥): «هذا حديث حسن ومتنه متواتر» يعني به الشطر الأول منه فقط. وقد حسّن الشيخ الألباني - رحمه الله - الشطرين الأولين: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» ثم قال: «وأما قوله في الطريق الخامسة من حديث علي رضي الله عنه: «وانصر من نصره واخذل من خذله» ففي ثبوته عندي وقفة لعدم ورود ما يجبر ضعفه، وكأنه رواية بالمعنى للشطر الآخر من الحديث: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» الصحيحة ٤/٣٤٣، ٣٤٤ رقم (١٧٥٠) . قلت: وقد تقدم أن الحديث بشطر «وانصر من نصره» أيضًا ورد بسند صحيح رجاله كلهم ثقات، أما قوله: «واخذل من خذله» فلم أقف عليه بسند صحيح إلا ما أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (١/١١٨) وفيه: شريك بن عبد الله القاضي النخعي الكوفي، وهو صدوق يخطئ كثيرا، وفيه أيضًا عمر بن ذي مر، وقد ترجمه البخاري في الكبير (٣/٢/٣٢٩-٣٣٠) وقال: «لا يعرف» وكذا قال العقيلي، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، فهو مجهول، ولذا فالحديث بهذه الزيادة ضعيف.

والشطر الأخير: «وأدر الحق معه كيفما دار» فقد أخرجه الترمذي في جامعه (٥/٥٩٢) (٣٧١٤) كتاب المناقب، باب مناقب علي رضي الله عنه بلفظ: «اللهم أدر الحق معه حيث دار» وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والمختار ابن نافع شيخ بصري كثير الغرائب» . وقال الحافظ في التقريب رقم ٦٥٢٥: ضعيف. قلت: فهذا الشطر ضعيف لم يثبت من وجه يصح. فيكون الحديث صحيحا إلى قوله: «وانصر من نصره» أما ما عدا ذلك وهو قوله: «واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيفما دار» فلم يثبت.

(٦) غدير خم يعرف الآن باسم (الغُرَبَة)، وهو غدير عليه نخل قليل لأناس من حرب، ويقع شرق الجحفة على ثمانية أكيال. معجم معالم الحجاز ٣/١٥٩.

(٧) مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨.

(٨) الخوخة - بفتح الخاءين - باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين ينصبُ عليها باب. النهاية ٢/٨٦.

(٩) البخاري: الصحيح، كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد ١/٥٥٨ مع الفتح، رقم ٤٦٦ و٤٦٧. مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبو بكر الصديق ٤/١٨٥٤ رقم ٢٣٨٢ بلفظ - وهو أقرب لفظ للفظ المصنف -: «إن أمنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر» . وفي لفظ عنده من حديث عبد الله

بن مسعود: «لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا ...» . مسلم: الصحيح رقم ٢٣٨٣. وفي رواية: «لا تبقينّ في المسجد باب إلا سُدّ إلا باب أبي بكر» . البخاري مع الفتح ١/٥٥٨، رقم ٤٦٦ كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد.

(١٠) سعد بن مالك أبو سعيد الخدري، الأنصاري، له ولأبيه صحبه، شهد ما بعد أحد، وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وستين، وقيل أربع وستين. التقريب ص٢٣٢.

(١١) البخاري: الصحيح، كتاب المساجد ١/١٧٧ رقم ٤٥٤. مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٥٤ رقم ٢٣٨٢.

(١٢) من ذلك: ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - في صحيح البخاري، كتاب المساجد باب الخوخة والممر في المسجد ١/١٧٨، وفي فضائل الصحابة، باب قول النبي - ﷺ -: «لو كنت متخذا خليلا» ٣/١٣٣٨، وعن عبد الله بن الزبير ٣/١٣٣٨ رقم ٣٤٥٨. ومسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٥٤، ١٨٥٥ رقم ٢٣٨٢ و٢٣٨٣ عن عبد الله ابن مسعود.

الثَّانِي: قَوْلُهُ: «لَا تَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»، وَهَذَا تَخْصِيصٌ لَهُ دُونَ سَائِرِ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ أَرَادَ بَعْضُ الْكَذَّابِينَ أَنْ يَرْوِيَ لِعَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مِثْلَ ذَلِكَ، لَكِنَّ الصَّحِيحَ الثَّابِتَ لَا يُعَارَضُ بِالضَّعِيفِ الْمَوْضُوعِ (١) .

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا» فَإِنَّهُ نَصَّ أَنَّهُ لَا أَحَدَ مِنَ الْبَشَرِ يَسْتَحِقُّ الْخُلَّةَ لَوْ كَانَتْ مُمْكِنَةً إِلَّا أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ أَفْضَلَ مِنْهُ لَكَانَ أَحَقَّ بِالْخُلَّةِ لَوْ كَانَتْ وَاقِعَةً.

وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ لِأَبِي بَكْرٍ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ مُدَّةَ مَرَضِهِ مِنْ خَصَائِصِهِ الَّتِي لَمْ يَشْرَكْهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَلَمْ يَأْمُرِ النَّبِيُّ - ﷺ - أُمَّتَهُ أَنْ تُصَلِّيَ خَلْفَ أَحَدٍ فِي حَيَاتِهِ بِحَضْرَتِهِ إِلَّا خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ (٢) .

وَكَذَلِكَ تَأْمِيرُهُ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى الْحَجِّ لِيُقِيمَ السُّنَّةَ وَيَمْحُوَ أَثَرَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ (٣) .

حَدِيثٌ ضَعِيفٌ

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «أُدْعُ لِي أَبَاكِ أَوْ أَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي» ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَأْبَى اللهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ (٤)» وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كَثِيرَةٌ (٥) تُبَيِّنُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحَابَةِ مَنْ يُسَاوِيهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ - ﷺ -: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ (٦)» فَهَذِهِ الْعِبَارَةُ قَدْ قَالَهَا لِغَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَهَا -[عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ] السَّلَامُ -

لِجُلَيْبِيبٍ (٧) الَّذِي قَتَلَ عِدَّةً مِنَ الْكُفَّارِ: «هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ (٨)» .

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ (٩) إِذَا كَانُوا فِي السَّفَرِ وَنَقَصَتْ نَفَقَةُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ قَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ؛ هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ (١٠)»، فَقَدْ جَعَلَ الْأَشْعَرِيِّينَ أَبَا مُوسَى (١١) وَأَبَا عَامِرٍ (١٢) وَغَيْرَهُمَا مِنْهُ وَهُوَ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ (١٣)» .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ [الْأَنْفَالِ ٧٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [الْمُجَادَلَةِ ١٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التَّوْبَةِ ٥٦] .

وَقَالَ - ﷺ -: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا (١٤)» وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ السَّلِيمَ مِنْ هَذِهِ الْكَبَائِرِ يَكُونُ مِنَّا، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي النَّوْعِ الْوَاحِدِ فَيُقَالُ: هَذَا مِنْ هَذَا، إِذَا كَانَ مِنْ نَوْعِهِ، فَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْكَامِلِينَ الْإِيمَانَ فَهُوَ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَالنَّبِيُّ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ - ﷺ - فِي قِصَّةِ بِنْتِ حَمْزَةَ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ (١٥)» . وَكَقَوْلِهِ لِزَيْدِ ابْنِ حَارِثَةَ (١٦): «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا (١٧)»، وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِزَيْدٍ بَلْ كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ مَوَالِيهِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ هَذَا الْكَلَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الْأَحْزَابِ ٥] فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ (١٨)» وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِهِ، بَلْ مَنْ كَانَ مُوَافِقًا لِلنَّبِيِّ - ﷺ - فِي كَمَالِ الْإِيمَانِ كَانَ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَالنَّبِيُّ مِنْهُ.

حَدِيثٌ ضَعِيفٌ

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ» هُوَ مِنْ أَصَحِّ الْأَحَادِيثِ وَهُوَ أَصَحُّ حَدِيثٍ رُوِيَ فِي فَضَائِلِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ (١٩)، وَقَدْ زَادَ فِيهِ بَعْضُ الْكَذَّابِينَ: «إِنَّ الرَّايَةَ أَخَذَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَهَرَبَا (٢٠)» .

(١) قال ابن الجوزي: طرقه كلها باطلة، وقال: هذه الأحاديث من وضع الرافضة قابلوا به حديث أبي بكر في الصحيح. (انظر: الفوائد المجموعة للشوكاني ص٣١٦) بينما يرى الحافظ ابن حجر في القول المسدد ص١٦-١٨ أن الأحاديث في هذا الباب صحيحة بل بمجموعها يقطع بصحتها. وقال عبد الرحمن بن يحيى المعلمي في تعليقه على الفوائد المجموعة ص٣١٧ ما نصه: «وتصدى الحافظ ابن حجر في القول المسدد والفتح للدفاع عن بعض روايات الكوفيين، وفي كلامه تسامح، والحق أنه لا تسلم رواية منها عن وهن» . قلت: وأقرب هذه الروايات إلى الصحة ما رواه الإمام النسائي عن طريق شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال: أمر رسول الله - ﷺ - بأبواب المسجد فسُدّت إلا باب علي رضي الله عنه. وإسناده صحيح. الخصائص ص٥٠ (٤١) . وهو مخرج في جامع الترمذي ٥/٦٤١ رقم ٣٧٣٢ كتاب المناقب باب مناقب علي. وينظر: مجمع الزوائد ٩/١١٤، ١١٥، فضائل الصحابة ٢/٥٨١ رقم ٩٨٥.

(٢) البخاري: الصحيح، كتاب الجماعة والإمامة ١/٢٤٠ رقم ٦٤٦. مسلم: الصحيح، كتاب الصلاة ١/٣١٦ رقم ٤٢٠.

(٣) البخاري: الصحيح، كتاب الحج ٢/٥٨٦ رقم ١٥٤٣. مسلم: الصحيح، كتاب الحج ٢/٩٨٢ رقم ١٤٤٧.

(٤) البخاري: الصحيح مع الفتح، كتاب الأحكام ١٣/٢٠٥ رقم (٧٢١٧) بلفظ: «لقد هممت - أو: أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول القائل أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله

ويأبى المؤمنون» . وهو عند مسلم بلفظ: «ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر الصديق ٤/١٨٥٧ رقم٢٣٨٧.

(٥) ومنها حديث: «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر الصديق» ذكر ذلك الناسخ في الهامش بخطه. قلت: أخرجه بنحوه أحمد في فضائل الصحابة ١/٣٥٢ رقم ٥٠٨، وإسناده ضعيف لتدليس ابن جريج، وفيه أبو بكر لم أعرفه. وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب ١/٢١٧ رقم ٢١٢، وفي إسناده أبو سعيد البكري لم أعرفه، وابن جريج وقد دلس.

(٦) البخاري: الصحيح، كتاب الصلح ٢/٩٦٠ رقم ٢٥٥٢، وقد تقدم، تخريجه ص١٩.

(٧) قال الحافظ: غير منسوب، (الإصابة ١/٢٥٣ رقم ١١٧٥) .

(٨) مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل جلبيب رضي الله عنه ٤/١٩١٨ رقم ٢٤٧٢ بلفظ: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه..» الحديث. وهو مخرج في سنن النسائي الكبرى أيضًا.

(٩) الأشعريون هم بنو الأشعر نبت بن أُدد بن ريد بن يشحب بن عريب بن زيد ابن كهلان بن سبأ. (جمهرة أنساب العرب ص٣٩٧) .

(١٠) البخاري:الصحيح، كتاب الشركة باب الشركة في الطعام والعروض ٥/١٥٣ رقم ٢٤٨٦. مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الأشعريين رضي الله عنهم ٤/١٩٤٤ رقم ٢٥٠٠ بلفظ: «إن الأشعريين إذا

أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية؛ فهم مني وأنا منهم» .

(١١) عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري، صحابي مشهور، أمّره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين، توفي سنة خمسين. (التقريب ص٣١٨) .

(١٢) أبو عامر الأشعري، صحابي، اسمه عبيد، وهو عم أبي موسى الأشعري، استشهد بحنين. (التقريب ص٦٥٣) .

(١٣) البخاري: الصحيح، كتاب الصلح ٢/٩٦٠ رقم ٢٥٥٢، وقد تقدم، تخريجه ص١٩.

(١٤) البخاري: الصحيح، كتاب الفتن باب من حمل علينا السلاح فليس منا، أما قوله: «من غشنا» الحديث فلم يخرجه في صحيحه. مسلم: الصحيح، كتاب الإيمان ١/٩٨ رقم ٩٨، وفيه تقديم الشطر الثاني.

(١٥) سبق تخريجه ص١٩.

(١٦) زيد بن حارثة الكلبي، شهد بدرا وما بعدها وقتل في غزوة مؤتة وهو أمير. الإصابة ٣/٢٥، ٢٦.

(١٧) البخاري: الصحيح، كتاب الصلح باب كيف يكتب: هذا ما صالح عليه فلان بن فلان ٢/٩٦٠ رقم ٢٥٥٢.

(١٨) سبق تخريجه ص ١٢٤٦، حاشية ٣٩.

(١٩) البخاري: الصحيح، كتاب الجهاد ٣/١٠٨٦ رقم ٢٨١٢. مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٧١ رقم ٢٤٠٧، وقد سبق تخريجه ص! خطأ الإشارة المرجعية غير معرفة..

(٢٠) قلت: وقد ذكر هذه الرواية الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٢٤ من رواية ابن عباس عند الطبراني، وقال: «وفيه حكيم بن جبير، وهو متروك ليس بشيء» . ومن رواية ابن أبي ليلى عند البزار، ثم قال: «وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وهو سيء الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح..» بلفظ: «إن النبي - ﷺ - دعا أبا بكر فعقد له لواء ثم بعثه فسار بالناس فانهزم حتى إذا بلغ ورجع فدعا عمر فعقد له لواء فسار ثم رجع منهزما بالناس، فقال رسول الله - ﷺ -: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله وبحبه الله ورسوله يفتح الله له ليس بفرار فأرسل..» الحديث. مسند البزار ٢/١٣٥ رقم ٤٩٦. قلت: قال الحافظ: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: صدوق سيء الحفظ جدا. فالحديث ضعيف كما ترى.

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ - ﷺ -: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا» قَالَ عُمَرُ: «مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ (١)»، وَاسْتَشْرَفَ لَهَا عُمَرُ وَغَيْرُهُ، وَلَوْ جَاءَ مُنْهَزِمًا لَمَا اسْتَشْرَفَ لَهَا، فَهَذَا الْحَدِيثُ رَدٌّ عَلَى النَّاصِبَةِ الْوَاقِعِينَ فِي عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - تَبًّا لَهُمْ؛ فَإِنَّهُ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، [وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ (٢)]، وَلَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ، بَلْ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَامِلِ الْإِيمَانِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [الْمَائِدَةِ ٥٤] وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوا

أَهْلَ الرِّدَّةِ وَإِمَامُهُمْ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ - ﷺ - لِلْأَنْصَارِ: «وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكُمْ (٣)» .

وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ (٤) سَأَلَهُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ» قَالَ: فَمِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا» . وَهَذَا فِيهِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَحَبُّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ، وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٥) .

وَكَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ (٦) يُسَمَّى الْحِبَّ ابْنَ الْحِبِّ لِحُبِّ النَّبِيِّ - ﷺ - لَهُ وَلِأَبِيهِ (٧) . وَأَمْثَالُ هَذِهِ النُّصُوصِ الَّتِي تُبَيِّنُ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ شَخْصٍ عُرِفَ أَنَّهُ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ الْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا الْوَصْفَ ثَابِتٌ لِخَلَائِقَ كَثِيرِينَ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى (٨)» فَحَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَهَذَا قَالَهُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ (٩) لَمَّا اسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فَطَعَنَ النَّاسُ فِيهِ وَقَالُوا: إِنَّمَا اسْتَخْلَفَهُ لِأَنَّهُ يُبْغِضُهُ (١٠)، فَكَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - إِذَا خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ أُمَّتِهِ، وَكَانَ يَكُونُ بِهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا كَانَ عَامُ تَبُوكَ لَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْقَادِرِينَ فِي التَّخَلُّفِ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ أَحَدٌ بِلَا عُذْرٍ إِلَّا عَاصٍ لِلهِ وَرَسُولِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ اسْتِخْلَافًا ضَعِيفًا، فَطَعَنَ فِيهِ الْمُنَافِقُونَ بِهَذَا السَّبَبِ، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ - ﷺ - أَنِّي لَمْ اسْتَخْلِفْكَ لِنَقْصِ قَدْرِكَ عِنْدِي فَإِنَّ مُوسَى اسْتَخْلَفَ

هَارُونَ وَهُوَ شَرِيكُهُ فِي الرِّسَالَةِ، أَفَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى فَتَخْلُفَنِي فِي أَهْلِي كَمَا خَلَفَ هَارُونُ أَخَاهُ مُوسَى.

فِيهِ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ اسْتَخْلَفَ غَيْرَهُ (١١) قَبْلَهُ، وَكَانَ أُولَئِكَ مِنْهُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، فَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ خَصَائِصِهِ. وَلَوْ كَانَ هَذَا الِاسْتِخْلَافُ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ لَمْ يَخْفَ ذَلِكَ عَلَى عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَبْكِي (١٢) وَيَقُولُ: «أَتُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ» . وَمِمَّا بَيَّنَ ذَلِكَ أَنَّهُ بَعْدَ هَذَا الِاسْتِخْلَافِ أَمَّرَ عَلَيْهِ أَبَا بَكْرٍ عَامَ تِسْعٍ، فَإِنَّ هَذَا الِاسْتِخْلَافَ كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي أَوَائِلِهَا، فَلَمَّا رَجَعَ مِنَ الْغَزْوِ وَأَمَّرَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الْحَجِّ ثُمَّ أَرْدَفَهُ بِعَلِيٍّ فَلَمَّا لَحِقَهُ قَالَ: «أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ» قَالَ: «بَلْ مَأْمُورٌ (١٣)»، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي

بِعَلِيٍّ وَغَيْرِهِ، وَيَأْمُرُ عَلَى عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ يُطِيعُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَعَلِيٌّ يَتَعَاطَى نَبْذَ الْعُهُودِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، لِأَنَّ الْعَادَةَ كَانَتْ جَارِيَةً أَنَّهُ لَا يَعْقِدُ الْعُقُودَ وَلَا يَحُلُّهَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلِهَذَا قَالَ - ﷺ -: «لَا يُبَلِّغُ عَنِّي الْعَهْدَ إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي (١٤)» لِلْعَادَةِ الْجَارِيَةِ.

(١) مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي ٤/١٨٧١ رقم ٢٤٠٥

(٢) المثبت من الهامش بخط الناسخ.

(٣) البخاري: الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي - ﷺ -: أنتم أحب الناس إليّ ٣/١٣٧٩ رقم ٣٥٧٤، ٣٥٧٥. بلفظ: «اللهم أنتم من أحبّ الناس إلي» قالها ثلاث مرات، يعني الأنصار. وفي حديث آخر: «والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إلي» قالها مرتين أو ثلاث مخاطبا لامرأة من الأنصار. هذا وما وقفت على لفظ المصنف في الكتب الستة. والله أعلم.

(٤) السهمي، الصحابي المشهور، أسلم عام الحديبية، وولي إمرة مصر مرتين، وهو الذي فتحها، توفي بمصر سنة نيف وأربعين. (التقريب ص٤٢٣) .

(٥) البخاري: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي - ﷺ - ٧/٢٢ رقم ٣٦٦٢. مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر الصديق ٤/١٨٥٦ رقم ٢٣٨٤.

(٦) ابن حارثة الكلبي، الأمير، صحابي مشهور، توفي سنة أربع وخمسين بالمدينة. (التقريب ص٩٨) .

(٧) البخاري: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثة ٣/١٣٦٥ رقم ٣٥٢٤ و٣٥٢٦.

(٨) سبق تخريجه ص ١٢٤٦، حاشية ٤٠.

(٩) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، خرج إليه النبي - ﷺ - في سنة تسع من الهجرة، وهي آخر غزواته، وتبوك الآن مدينة كبيرة وهي قاعدة شمال غرب المملكة، وتبعد عن المدينة حوالي سبع مائة كيل. معجم البلدان ٢/١٤، شمال غرب المملكة ١/٣٤٩.

(١٠) وقد ورد ذلك في حديث سعد بن أبي وقاص عند النسائي في الخصائص ص٥١ رقم (٤٢) قال المحقق: إسناده صحيح بما بعده، ولفظه: «لما غزا رسول الله - ﷺ - غزوة تبوك خلّف عليا في المدينة، قالوا فيه: ملّه وكره صحبته..» الحديث. قلت: فيه قتادة وقد عنعن وكان مدلسا، قال إسماعيل القاضي في "أحكام القرآن": «سمعت علي بن المديني يضعف أحاديث قتادة عن سعيد بن المسيب تضعيفا شديدا ويقول: أحسب أن أكثرها بين قتادة وسعيد رجال» . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة رقم ١٣٤٣ بنفس الإسناد، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٧/١٩٦، والخطيب في التاريخ ١/٣٢٤، ٣٢٥ من طرق عن قتادة به. وله متابعات صحيحة ذكرت أصل الحديث، انظر: الترمذي: السنن رقم ٣٧٣١، والنسائي: الخصائص رقم ٤٣، ٤٤، ٤٦.

(١١) انظر: ابن هشام: السيرة ٢/٣٠٢، ٣/٩٢، ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٠٦، ٤٠١، ٤٢٦، ٤/٥٩.

(١٢) لم أقف على رواية صحيحة فيها ذكر بكاء علي رضي الله عنه، وقد ورد ذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند النسائي في الخصائص ص٦٣ رقم ٥٧، وفيه: قال علي رضي الله عنه: «يا رسول الله! زعمت قريش أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وكرهت صحبتي وبكى

علي رضي الله عنه ...» الحديث. قال المحقق: «إسناده ضعيف» . قلت: فيه عبد الله بن شريك وهو متكلم فيه، والحارث بن مالك مجهول. (التقريب رقم ١٠٤٦، ٣٣٨٤) .

(١٣) النسائي: كتاب الحج، باب الخطبة قبل يوم التروية ٥/٢٤٧ رقم ٢٩٩٣ بلفظ: قال له أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: لا بل رسول.. قال النسائي: «ابن خُثيم ليس بالقوي في الحديث، وإنما أخرجت هذا لئلا يجعل ابن جريج عن أبي الزبير ...» ... الخ (المصدر نفسه) . وذكره الألباني في ضعيف سنن النسائي وقال: ضعيف الإسناد. رقم ٢٩٩٣.

(١٤) قال الحافظ في الفتح ٨/٣٢٠ كتاب التفسير باب {وأذان من الله ورسوله ...}: «وأخرج أحمد بسند حسن عن أنس أن النبي - ﷺ - بعث ببراءة مع أبي بكر، فلما بلغ ذا الحليفة قال: لا يُبَلِّغُها إلا أنا أو رجل من أهل بيتي، فبعث بها مع علي» . (المسند ١٣/٤٣٤ رقم ١٣٢١٤) . قلت: وأخرجه الترمذي في سننه ٥/٢٧٥ رقم ٣٠٩٠ والنسائي في خصائص علي (٧٠) ولفظ الترمذي: «لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهل بيتي فدعا عليا فأعطاه إياه» . وقال: «حسن غريب من حديث أنس» . قلت: وإسناده حسن، رجاله كلهم ثقات غير سماك بن حرب، فقد قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغير بأخرة فكان ربما يلقن. (التقريب رقم ٢٦٢٤) . قلت: روايته هنا عن أنس بن مالك رضي الله عنه وليست عن عكرمة.

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بَلْ أَيُّ رَجُلٍ مِنْ عِتْرَتِهِ نَبَذَ الْعَهْدَ حَصَلَ بِهِ الْمَقْصُودُ، لَكِنْ عَلِيٌّ أَفْضَلُ بَنِي هَاشِمٍ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - فَكَانَ أَحَقَّ بِالتَّقْدِيمِ مِنْ سَائِرِ الْأَقَارِبِ، فَلَمَّا أُمِّرَ أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ بَعْدَ قَوْلِهِ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى» عَلِمْنَا أَنَّهُ لَا دَلَالَةَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ إذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يُقَدَّمْ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ لَا فِي الْحَجِّ وَلَا فِي الصَّلَاةِ كَمَا أَنَّ هَارُونَ لَمْ يَكُنْ مُوسَى يُقَدِّمُ عَلَيْهِ غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا شَبَّهَهُ بِهِ فِي الِاسْتِخْلَافِ خَاصَّةً، وَهَذَا أَمْرٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ.

وَقَدْ شَبَّهَ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي الصَّحِيحِ أَبَا بَكْرٍ بِإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى، وَشَبَّهَ عُمَرَ بِنُوحٍ وَمُوسَى (١)، لَمَّا أَشَارَا عَلَيْهِ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: هَذَا بِالْفِدَى وَهَذَا بِالْقَتْلِ. وَهَذَا أَعْظَمُ مِنْ تَشْبِيهِ عَلِيٍّ بِهَارُونَ، وَلَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَا بِمَنْزِلَةِ أُولَئِكَ الرُّسُلِ مُطْلَقًا، وَلَكِنْ تَشَابَهَا بِالرُّسُلِ: هَذَا فِي [لِينِهِ فِي اللهِ وَهَذَا] فِي شِدَّتِهِ فِي اللهِ، وَتَشْبِيهُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ لِمُشَابَهَتِهِ بِهِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ كَيْفَمَا دَارَ (٢)» .

فَهَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمَّهَاتِ إِلَّا فِي التِّرْمِذِيِّ (٣) وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ (٤)» وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَلَيْسَتْ فِي الْحَدِيثِ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللهُ - فَقَالَ: «الزِّيَادَةُ كُوفِيَّةٌ (٥)» .

وَلَا رَيْبَ أَنَّهَا كَذِبٌ لِوُجُوهٍ:

أَثَرٌ ضَعِيفٌ

أَحَدُهَا: أَنَّ الْحَقَّ لَا يَدُورُ مَعَ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ بَعْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - لَا مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ وَلَا عُثْمَانَ وَلَا عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ -؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ بِمَنْزِلَةِ النَّبِيِّ - ﷺ - يَجِبُ اتِّبَاعُهُ فِي كُلِّ مَا يَقُولُهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يُنَازِعُهُ أَصْحَابُهُ وَأَتْبَاعُهُ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَلَا يَرْجِعُونَ فِيهَا إِلَى قَوْلِهِ، بَلْ فِيهَا مَسَائِلُ وُجِدَ فِيهَا نُصُوصٌ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - تُوَافِقُ قَوْلَ مَنْ نَازَعَهُ، كَالْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَإِنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَفْتَى أَنَّهَا تَعْتَدُّ أَبْعَدَ الْأَجَلَيْنِ (٦)، وَعُمَرُ

وَابْنُ مَسْعُودٍ (٧) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وَغَيْرُهُمَا أَفْتَوْا بِأَنَّهَا تَعْتَدُّ بِوَضْعِ الْحَمْلِ (٨)، وَبِهَذَا جَاءَتِ السُّنَّةُ (٩) . وَسُئِلَ النَّبِيُّ - ﷺ - وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ (١٠) يُفْتِي بِمِثْلِ قَوْلِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ قَدْ حَلَلْتِ فَانْكِحِي (١١)» قَوْلُهُ لِسُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ (١٢) لَمَّا سَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ.

فِيهِ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ

وَقَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ انْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ» خِلَافُ الْوَاقِعِ؛ فَإِنَّ الْوَاقِعَ لَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ قَاتَلَ مَعَهُ أَقْوَامٌ يَوْمَ صِفِّينَ فَمَا انْتَصَرُوا (١٣)، وَأَقْوَامٌ لَمْ يُقَاتِلُوا مَعَهُ فَمَا خُذِلُوا كَسَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (١٤) الَّذِي فَتَحَ الْعِرَاقَ لَمْ يُقَاتِلْ مَعَهُ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ (١٥) وَبَنِي أُمَيَّةَ الَّذِينَ قَاتَلُوهُ فَتَحُوا كَثِيرًا مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ وَنَصَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى.

(١) أحمد: المسند ١/٣٨٣، وفضائل الصحابة ١/١٨١، والترمذي: السنن ٤/٢١٣ رقم ١٧١٤ كتاب الجهاد، جميعهم عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود. قال الترمذي: «هذا حديث حسن، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه، وفي الباب عن عمر وأبي أيوب وأنس وأبي هريرة» . وله شاهد من حديث عمر أخرجه مسلم في صحيحه ٣/١٣٨٣ رقم ١٧٦٣. فقول الترمذي: حسن، لعله يعني لشواهده، وإلا فقد صرح هو بانقطاعه. وليس في مسلم تشبيه أبي بكر وعمر بالأنبياء.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة ١/٥٠١، تقدم تخريجه ص ١٢٤٧، حاشية ٤٤.

(٣) سبق تخريجه ص! خطأ الإشارة المرجعية غير معرفة.. أما قوله: «وأما الزيادة فليست في الحديث» قلت: بلى إن الشطر الأخير: «وأدر الحق معه حيثما دار» مخرج في جامع الترمذي أيضًا ٥/٥٩٢ رقم ٣٧١٤، ص ١٢٣١.

(٤) الترمذي: السنن ٥/٦٣٣. وقد سبق تخريجه ص ١٢٤٧، حاشية ٤٤.

(٥) لم أجد هذا النص.

(٦) روي عنه بوجه منقطع. (المغني ١١/٢٢٧) . وانظر أيضًا: التمهيد (فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر) ترتيب المغراوي ١٠/٥٩١ كتاب الطلاق، باب عدة الوفاة تنتهي بوضع الحمل.

(٧) عبد الله بن مسعود الهُذَلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبة جمة، مات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة. (التقريب ص٣٢٣) .

(٨) ابن قدامة: المغني ١١/٢٢٧، ٢٢٨، والخطابي: معالم السنن بهامش سنن أبي داود ٢/٧٢٩ كتاب الطلاق، باب في عدة الحامل.

(٩) منها ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ٥/٢٠٣٧ (٥٠١٢، ٥٠١٣، ٥٠١٤) كتاب الطلاق باب {وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن} من حديث سبيعة الأسلمية. ومنها: «أفتاني النبي - ﷺ - إذ وضعتُ أن أنكح» . مسلم:الصحيح، كتاب الرضاع، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها بوضع الحمل ٢/١١٢٢ رقم ١٤٨٤ القصة بطولها.

(١٠) أبوا السنابل بن بَعْكَك بن الحارث القرشي، قيل اسمه: عمر، وقيل غير ذلك، صحابي مشهور (التقريب ص٦٤٦) .

(١١) أخرجه باللفظ الذي ساقه المصنف أحمد في مسنده ١/٤٤٧. قال الهيثمي - بعد أن ذكر هذا الحديث -: «ورجاله رجال الصحيح» . وأخرجه أيضًا الإمام البيهقي في السنن الكبرى ٧/٤٢٩. وانظر التعليق السابق.

(١٢) سُبيعة بنت الحارث الأسلمية، زوج سعد بن خولة، لها صحبة. (التقريب ص٧٤٨) .

(١٣) قلت: كان علي - رضي الله عنه - قريبا من الانتصار العسكري في صفين، لكنه نزل على تحكيم كتاب الله لما دُعي إليه، وأوقف الحرب، لأنه يرى أو كما قال بعد ذلك: «وكتاب الله كله لي» أي يحكم لي. فيرى أنه سيحقق ما يريد عن طريق التحكيم بدلا من القتال، لكن التحكيم فشل ولم يخرجوا منه بالنتيجة التي أرادوها منه. ولم يتمكن بعد ذلك من غزو الشام وإدخالها في الجماعة والبيعة، بسبب ظهور الخوارج ودخول الوهن

على بعض جيشه. ويبدو أن الذي يعنيه شيخ الإسلام بعدم الانتصار هو عدم تحقيق الهدف الذي أراده الخليفة علي - رضي الله عنه - من غزو الشام وهو إدخاله ضمن خلافته. أما المعروف عن علي - رضي الله عنه - فإنه لم يَخِبْ في أي معركة دخلها، ولم يُهزم في معركة قط. وأما الذين لم يدخلوا المعركة أصلا كسعد بن أبي وقاص فذلك بناء على اجتهاده رضي الله عنه، ولا نستطيع أن نقول إنه أراد بذلك خذل عليّ رضي الله عنه، فكيف يترتب عليه خذله رضي الله عنه. ولا يشك أحد منا أن عليا رضي الله عنه كان أقرب إلى الحق من معاوية رضي الله عنه بدليل حديث عمار. وهذا الذي قاله شيخ الإسلام بأن معاوية وأصحابه انتصروا وفتحوا البلاد مع أنهم خذلوا عليا يقال بأن أصحاب معاوية ما أرادوا ذلك وإنما كان همهم شيئًا آخر وهو القصاص، والذي جعلهم يقاتلونه - رضي الله عنه - أمر خارجي وليس بغضه، فهذا اجتهاد منهم، وهم على اجتهادهم مأجورون، بل كانوا يحبونه بدليل حديث صحيح مروي عن علي أنه قال: «والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهد النبي إليّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق..» صحيح مسلم ١/٦٤ من الجزء الثاني كتاب الإيمان باب حب علي من الإيمان، وبلا شك فهم كانوا مؤمنين وقد وصفهم الله عز وجل بذلك في كتابه: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا..﴾ . وبهذا ظهر الأمر جليا أن معاوية ومن معه رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن قتالهم ناشئًا من العداوة، وإنما ذلك من أجل القصاص لدم عثمان رضي الله عنه، وإلا فهم كانوا يوالونه موالاة المؤمنين بعضهم لبعض ولم يكونوا يعادونه لا قبل تلك المعارك ولا بعدها. فإذا كان الأمر

كذلك فلا معارضة إذًا بين الحديث والواقع، علمًا بأن الحديث لم يصح بجميع أجزائه، وإنما صح منه بعض الأطراف دون غيرها. وقد سبق بيان ذلك ص٢٠،٢١.

(١٤) هنا تجنب المؤلف أن يقول: «خذلوه» وقال: «لم يقاتلوا معه» لأن سعدًا جاء عن النبي - ﷺ - من طريقه أحاديث في فضل علي في الصحيحين وغيرهما، ويعتبر مبايعا له، ولكن توقف عن نصرته لأنه لا يرى القتال بين المسلمين، وصح عنه قوله: «ائتوني بسيف له عينان وشفتان يقول هذا مسلم وهذا كافر» أو كما قال.

(١٥) ابن أبي سفيان.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» مُخَالِفٌ لِأُصُولِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ بَيَّنَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ اقْتِتَالِهِمْ وَبَغْيِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ هُمْ إِخْوَةٌ مُؤْمِنُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الْحُجُرَاتِ ٩، ١٠] فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ النَّبِيُّ - ﷺ - لِلْوَاحِدِ مِنْ أُمَّتِهِ: «اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ (١)» وَاللهُ تَعَالَى قَدْ

أَخْبَرَ أَنَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ أَوْلِيَاؤُهُ وَأَنَّ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ وَإِنِ اقْتَتَلُوا وَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» فَفِي عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ مَنْ طَعَنَ فِيهِ كَالْبُخَارِيِّ (٢) وَغَيْرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَّنَهُ كَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَالتِّرْمِذِيِّ وَغَيْرِهِمَا.

فَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - لَمَّا قَالَ ذَلِكَ أَرَادَ بِهِ وِلَايَةً يَخْتَصُّ بِهَا أَوْ لَمْ يُرِدْ بِهِ إِلَّا الْوِلَايَةَ [الْمُشْتَرَكَةَ وَهِيَ وِلَايَةُ الْإِيمَانِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَتَبَيَّنَ] بِهَذَا أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَجِبُ مُوَالَاتُهُمْ لَيْسَ كَمَا تَقُولُ النَّوَاصِبُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْمُوَالَاةَ، وَالْمُوَالَاةُ ضِدُّ الْمُعَادَاةِ وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ مُوَالَاةُ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلِيٌّ مِنْ سَادَاتِ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا يَجِبُ مُوَالَاةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - وَلَا يَجُوزُ مُعَادَاةُ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَمَنْ لَمْ يُوَالِهِمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ وَنَقَصَ إِيمَانُهُ بِقَدْرِ مَا تَرَكَ مِنْ مُوَالَاتِهِمُ الْوَاجِبَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [الْمَائِدَةِ ٥٥، ٥٦] وَهَذِهِ مُوجِبَةٌ لِمُوَالَاةِ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَحَدِيثُ التَّصَدُّقِ بِالْخَاتَمِ فِي الصَّلَاةِ كَذِبٌ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ، وَذَلِكَ مُبَيَّنٌ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ مَبْسُوطَةٍ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ (٣) .

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي يَوْمِ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ فِي أَهْلِ بَيْتِي» فَهَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٤)، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ خَصَائِصِ عَلِيٍّ بَلْ هُوَ مُسَاوٍ لِجَمِيعِ أَهْلِ الْبَيْتِ: عَلِيٍّ وَجَعْفَرٍ وَعَقِيلٍ وَآلِ الْعَبَّاسِ، وَأَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ الرَّافِضَةُ؛ فَإِنَّهُمْ مِنْ شُؤْمِهِمْ يُعَادُونَ الْعَبَّاسَ وَذُرِّيَّتَهُ، بَلْ يُعَادُونَ جُمْهُورَ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ - ﷺ - وَيُعِينُونَ الْكُفَّارَ عَلَيْهِمْ، كَمَا أَعَانُوا التَّتَارَ عَلَى الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَهُمْ يُعَاوِنُونَ الْكُفَّارَ وَيُعَادُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَيَعْرِفُونَ حُقُوقَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَيُحِبُّونَهُمْ وَيُوَالُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَ مَنْ يَنْصِبُ لَهُمُ الْعَدَاوَةَ.

وَأَمَّا آيَةُ الْمُبَاهَلَةِ [عِمْرَانَ ٦١] فَلَيْسَتْ أَيْضًا مِنْ خَصَائِصِهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بَلْ قَدْ دَعَا عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٥)، وَدَعْوَتُهُمْ لَمْ تَكُنْ لِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ أُمَّتِهِ بَلْ لِأَنَّهُمْ

أَخَصُّ أَهْلِ بَيْتِهِ. كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - أَدَّى زَكَاةَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا (٦)» فَدَعَا لَهُمْ دَعْوَةً خَصَّهُمْ بِهَا.

وَلَمَّا كَانَتِ الْمُبَاهَلَةُ بِالنِّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَنْفُسِ وَدَعَا هَؤُلَاءِ، وَلَفْظُ الْأَنْفُسِ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ النَّوْعِ الْوَاحِدِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النُّورِ ١٢] يَعْنِي عَامَّةً وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الْبَقَرَةِ ٥٤] أَيْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

(١) وذلك لأنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، مثل ما ورد ذلك في الأنصار: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» وفي لفظ آخر: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق ...» البخاري: كتاب مناقب الأنصار باب حب الأنصار من الإيمان ٣/١٣٧٩ رقم ٣٥٧٢، ٣٥٧٣.

(٢) قلت: ما وقفت على طعن الإمام البخاري في هذا الحديث إلا ما جاء في تاريخه الكبير ١/١/٣٧٥ (١١٩١) في ترجمة إسماعيل بن نشيط العامري، فساق السند والمتن ثم قال: «في إسناده نظر» . وهذا حكم خاص بالنسبة لهذا السند الذي ساقه، وليس ذلك حكمًا عامًا على الحديث. والله أعلم.

(٣) لم أجده.

(٤) مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة ٤/١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨.

(٥) مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب ٤/١٨٧١ رقم ٢٤٠٤.

(٦) مسلم: الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي - ﷺ - علي بن أبي طالب ٤/١٨٨٣ رقم ٢٤٢٤.

وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ قَدْرًا مِنَ الْأَقَارِبِ هُوَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَلَهُ مَزِيَّةُ الْقَرَابَةِ وَالْإِيمَانِ مَا لَا يُوجَدُ لِبَقِيَّةِ الْقَرَابَةِ وَالصَّحَابَةِ فَدَخَلَ بِذَلِكَ فِي الْمُبَاهَلَةِ، وَذَلِكَ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ فِي

غَيْرِ الْأَقَارِبِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْمُبَاهَلَةَ وَقَعَتْ بِالْأَقَارِبِ، فَلِهَذَا لَمْ يُبَاهِلْ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - وَنَحْوِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الْحَجِّ ١٩] فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْمُخْتَصِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَوَّلُ مَنْ بَرَزَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ وَحَمْزَةُ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - بَرَزُوا لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ (١) .

وَهَذِهِ فَضِيلَةٌ مُشْتَرَكَةٌ أَيْضًا بَيْنَ عَلِيٍّ وَحَمْزَةَ وَعُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ، بَلْ سَائِرُ الْبَدْرِيِّينَ يُشَارِكُونَهُمْ فِي هَذِهِ الْخُصُومَةِ، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي السِّتَّةِ الْمُبَارِزِينَ (٢)

فَلَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، بِدَلِيلِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ [وَغَيْرَهُمْ] مِمَّنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْ عُبَيْدَةَ ابْنِ الْحَارِثِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ (٣) .

فَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ لَهُمْ وَفَضِيلَةٌ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْخَصَائِصِ الَّتِي تُوجِبُ كَوْنَ صَاحِبِهَا أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهِ.

وَأَمَّا سُورَةُ ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ (٤) وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ لَمَّا تَصَدَّقُوا عَلَى مِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَأَسِيرٍ، وَيَذْكُرُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ لَمَّا تَصَدَّقَتْ فَاطِمَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - بِقُوتِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ. وَهَذَا كَذِبٌ؛ لِأَنَّ سُورَةَ ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ مَكِّيَّةٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَالْحَسَنَيْنِ إِنَّمَا وُلِدَا بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَبِتَقْدِيرِ صِحَّتِهَا فَلَيْسَ هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَطْعَمَ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا كَانَ أَفْضَلَ الْأُمَّةِ وَأَفْضَلَ الصَّحَابَةِ، بَلِ الْآيَةُ عَامَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ كُلِّ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفِعْلَ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ لِثَوَابِ اللهِ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْعَمَلِ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ كَالْإِيمَانِ بِاللهِ وَالصَّلَاةِ فِي مَوَاقِيتِهَا وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الْعَمَلِ بِالْإِجْمَاعِ (٥) .

وَهَذَا جَوَابُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا يُظَنُّ أَنَّ فِيهِ دَلَالَةً عَلَى فَضِيلَةِ غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ (٦) إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَذِبًا عَلَى رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لَفْظًا مُحْتَمِلًا لَا دَلَالَةَ فِيهِ، وَأَمَّا النُّصُوصُ الْمُفَصَّلَةُ [لِأَبِي بَكْرٍ] فَصَرِيحَةٌ مَعَ دَلَائِلَ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالِاعْتِبَارِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) البخاري: الصحيح، كتاب التفسير باب ﴿هذان خصمان﴾ ٤/١٧٦٨ رقم ٤٤٦٦.

(٢) بذلك جاء الحديث، فقد قال أبو ذر رضي الله عنه - وكان يقسم فيها قسما -: «إن هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر ...» الحديث. البخاري ٤/١٧٦٨.

(٣) الجملة غير تامة بسقوط خبر (أن)، ولعل الخبر أن يقال: انهم لم يدخلوا في هذه الخصومة، أو ما شابه ذلك، مما تتم به الجملة.

(٤) ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور ٦/٤٨٥: «وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿ويطعمون الطعام على حبه..﴾ الآية قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله - ﷺ -» اهـ.

(٥) ما بعد هذا لا يوجد في مجموع الفتاوى.

(٦) أي على أبي بكر.

[سَبَبُ تَسْمِيَةِ الرَّافِضَةِ]

وَإِنَّمَا سُمُّوا رَافِضَةً لِأَنَّهُمْ رَفَضُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - وَلَمْ يَرْفُضْهُمَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ غَيْرُهُمْ، وَالشِّيعَةُ دُونَهُمْ وَهُمُ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -

وَيَتَوَلَّوْنَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَمَّا الرَّافِضَةُ فَلَهَا غُلُوٌّ شَدِيدٌ فِي عَلِيٍّ ذَهَبَ فِيهِ بَعْضُهُمْ مَذْهَبَ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَهُمُ السَّبَابَةُ (١) أَصْحَابُ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَبَأٍ (٢)، وَفِيهِمْ يَقُولُ الْحِمْيَرِيُّ:

قَوْمٌ غَلَوْ فِي عَلِيٍّ لَا أَبَا لَهُمُ ... وَأَجْشَمُوا أَنْفُسًا فِي حُبِّهِ تَعَبَا

قَالُوا هُوَ اللهُ جَلَّ اللهُ خَالِقُنَا ... مِنْ أَنْ يَكُونَ ابْنَ شَيْئًا أَوْ يَكُونَ أَبَا

وَقَدْ أَحْرَقَهُمْ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - بِالنَّارِ (٣) .

وَمِنَ الرَّوَافِضِ الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعْدٍ مَوْلَى بَجِيلَةَ (٤)، قَالَ الْأَعْمَشُ (٥): دَخَلْتُ عَلَى الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعْدٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ فَضَائِلِ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَقَالَ لِي: إِنَّكَ لَا تَحْتَمِلُهَا، قُلْتُ: بَلَى، فَذَكَرَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: عَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْهُ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ دُونَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَالَ: عَلِيٌّ خَيْرٌ مِنْهُمْ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَقَالَ: عَلِيٌّ مِثْلُهُ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ، قَالَ: قَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنَّكَ لَا تَحْتَمِلُهُ.

وَمِنَ الرَّوَافِضِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا فِي السَّحَابِ، فَإِذَا أَظَلَّتْهُمْ سَحَابَةٌ قَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ، وَقَدْ ذَكَرَ [ذَلِكَ (٦)]

بَعْضُ الشُّعَرَاءِ (٧):

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ ... مِنَ الْغَزَّالِ مِنْهُمْ وَابْنِ بَابِ

وَمِنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا ... يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ

وَلَكِنِّي أُحِبُّ بِكُلِّ قَلْبِي ... وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ

رَسُولَ اللهِ وَالصِّدِّيقَ حَقًّا (٨) ... بِهِ أَرْجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوَابِ (٩) (١٠)

تَمَّتْ وَبِالْخَيْرِ عَمَّتْ عَلَى يَدِ أَفْقَرِ عِبَادِ اللهِ وَأَحْوَجِهِمْ إِلَيْهِ مَغْفِرَةً: صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

(١) في الأصل: «السبابة» والمراد بهم السبئية، أتباع عبد الله بن سبأ، ولعل هذا الاسم من أسمائهم.

(٢) انظر الطبري: التاريخ ٧/١٨١، وابن قتيبة: المعارف ص٦٢٢.

(٣) خبر إحراقهم ورد عند البخاري: الصحيح مع الفتح ١٢/٢٦٧ رقم ٦٩٢٢، وانظر الفتح ١٢/٣٧٠.

(٤) انظرالطبري: التاريخ ٧/١٢٨.

(٥) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلِّس، توفي سنة سبع وأربعين ومئة. (التقريب رقم ٢٥٤) .

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

(٧) إسحاق بن سويد العدوي.

(٨) في البيان والتبيان «حُبًّا» .

(٩) البيان والتبيين ١/٢٣.

(١٠) في الهامش: «ومنه كلامهم: كفى في فضل مولانا عليّ وقوع الشك في أنه هو الله، ومات الشافعي وليس يدري عليٌّ ربه أم ربه الله» . وجاء في هامش الأصل تحت هذه الفقرة: «فيه ما فيه» . قلت: تعالى الله عن قولهم، وبرأ الله الشافعي من قولهم الباطل.